

فجرُ القُدَى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

صالح

٤

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للفغار واليا فعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يوسف عليه السلام
- ٨- شعيب عليه السلام
- ٩- أيوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الانبياء ، قصص أنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رسل
الرحمة والإنسانية ، رسل الحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجر الهدى والإيمان ،
صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلام عقول البشر ، واقتلعوا منها
الأوهام والباطيل ودعوا إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام
وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي
أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رسل وأنبياء .
قال الله تعالى : (وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَدُّ الْهْدَى وَالْإِيمَانِ

صَالِحٌ
عَلَيْهِ السَّلَامُ
نَبِي قَوْمِ ثَمُودَ

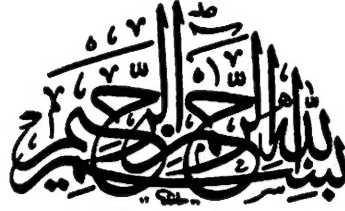
من قصص
الأنبياء
عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساتي

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 963 21 +

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صالح عليه السلام

هُوَ صَالِحُ بْنُ عُبَيْدٍ وَيَمْتَدُّ نَسَبُهُ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا إِلَى قَوْمِهِ ثَمُودَ، وَهُمْ قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ سُمِّيَتْ كَذَلِكَ عَلَى اسْمِ جَدِّهِمْ ثَمُودَ، وَكَانُوا مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبِيَّةِ، أَيْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ عَاشُوا قَبْلَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ ثَمُودُ تَسْكُنُ مِنْطَقَةَ الْحِجْرِ وَالَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الْحِجَازِ وَتَبُوكَ، وَوَرَدَ ذِكْرُ ثَمُودَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَقْرُونًا غَالِبًا مَعَ ذِكْرِ قَوْمِ عَادَ، وَنَبِيِّهِمْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي سُورَةِ عَدِيدَةٍ: كَسُورَةِ الْأَعْرَافِ وَسُورَةِ هُودٍ وَالْحِجْرِ وَالْإِسْرَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالنَّمْلِ وَفُصِّلَتْ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ وَإِبْرَاهِيمَ . . . وَغَيْرَهَا.

كَمَا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمَا، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ:

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾
الَّذِينَ يَأْتِيَكُمُ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿١﴾ .

(١) سورة إبراهيم (٨ - ٩) .

صالح النبي

وَبَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمَ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا شَدِيدَةً لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، وَذَلِكَ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ لِلْأَوْثَانِ، وَنَجَّى اللَّهُ هُودًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَرِثَ الْأَرْضَ قَوْمُ ثَمُودَ الَّذِينَ نَسُوا تَعَالِيمَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَشَرَعُوا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَأَرْسَلَ اللَّهُ نَبِيًّا جَدِيدًا، مِنْ بَيْنِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ وَرِعًا، تَقِيًّا، مُؤْمِنًا، صَادِقًا، ذَا أَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ، وَمَكَانَةٍ شَرِيفَةٍ، لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاطْرِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَلِيَذْكُرَهُمْ بِفَضْلِهِ وَنِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْهِمْ، وَلِيَتَنَشِّلَهُمْ مِنْ مُسْتَنْفَعِ الضَّلَالَةِ وَالْفَسَادِ وَالْكُفْرِ، إِلَى حَيْثُ الْأَمَانُ وَالْاطْمِئْنَانُ، إِلَى شَاطِئِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١).

وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

(١) سورة الأعراف (٧٣).

هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١﴾ .

كُفْرُ ثَمُودَ

وَلَكِنَّ أُنَىٰ لِهَٰذِهِ الْقُلُوبِ الْمُتَحَجِّرَةِ، وَالْعُقُولِ الصَّدِثَةِ، أَنْ تَعْقِلَ، وَتَتُوبَ^(٢) إِلَىٰ رُشْدِهَا فَقَدْ رَفَضَ قَوْمٌ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَعْوَتَهُ تِلْكَ، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ لِلْأَوْثَانِ، رَغْمَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَكَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَخْلَفَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ عَادٍ، لِيَعْتَبِرُوا وَيَعْمَلُوا بِخِلَافِ كُفْرِهِمْ وَعَمَلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْأَرْضَ، يَبْنُونَ فِيهَا الْقُصُورَ، وَيَنْحِتُونَهَا فِي الصُّحُورِ، لَكِنَّهُمْ قَابَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ بِالتُّكْرَانِ وَالصَّدِّ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ^(٣) اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٤) .

(١) سورة هود (٦١).

(٢) توب: ترجع.

(٣) آلاء: نعم الله.

(٤) سورة: الأعراف (٧٤).

ثُمَّ إِنَّ ثَمُودَ، عَجَبَتْ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
 فَهُوَ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ، الَّذِي كَانُوا يَرْجُونَ فِيهِ الْخَيْرَ، فَكَيْفَ يَأْتِيهِمْ
 بِمَا يُخَالِفُ، دِينَ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ
 الْأَوْثَانِ، وَعِبَادَةِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ:

﴿قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
 وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (١).

وَيَطْلُبُ قَوْمٌ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ، أَنْ يَتْرُكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ،
 فَهُمْ قَدْ اخْتَارُوا بِأَنْفُسِهِمْ آلِهَتَهُمْ، الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ، وَالَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَكِنَّ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ
 يَسْتَمِعْ إِلَى مَا يَطْلُبُونَهُ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعَائِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرَ فِي
 دَعْوَتِهِ لَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ إِلَهِ وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَيْفَ يَدْعُ دَعْوَتَهُ
 تِلْكَ، وَهُوَ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ لِهَدَايَةِ قَوْمِهِ وَإِنْقَادِهِمْ مِنَ الضَّلَالَةِ
 وَالْعَمَى، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ
 يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (٢).

وَجَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،
 فَقَدْ اتَّهَمَتْ ثَمُودُ نَبِيَّهُمْ صَالِحًا، بِأَنَّهُ مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ، وَقَالُوا لَهُ:

(١) سورة هود (٦٢).

(٢) سورة هود (٦٣).

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١).

وَرَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي لَمْ يَيْئَسْ، وَلَا يُمَكِّنْ لَهُ أَنْ يَيْئَسَ، فَمَا هُوَ إِلَّا رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمِينٌ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ، رِسَالَةَ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ رِسَالَةَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا يَطْلُبُ جَزَاءَ ذَلِكَ، مُكَافَأَةً أَوْ أَجْرًا، فَهُوَ غَيْرُ رَاغِبٍ بِمَالٍ أَوْ قُصُورٍ، مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، فَمَا مَتَاعُ الدُّنْيَا إِلَّا الْغُرُورُ، وَأَنَّ أَجْرَهُ وَمُكَافَأَتَهُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ:

﴿ كَذَبْتَ ثُمَّودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٥﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٦﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وَلَكِنَّ قَوْمَ صَالِحٍ، ازْدَادُوا عُتُورًا وَضَلَالَةً، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ كُفْرًا وَغَوَايَةً، فَعَمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَسَمَاعِهِ، فَهُمْ صُمٌّ بِكُمْ عُمِيٌّ، لَا يَفْقَهُونَ، وَاسْتَمَرُّوا فِي تَنْكِرِهِمْ لِأَخِيهِمْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَفَضِهِمُ الْانْصِياعَ لِنَصَائِحِهِ، وَالْامْتِنَاعَ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، لَا بَلْ ذَهَبُوا مَذْهَبًا جَدِيدًا فَهَاهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِبُرْهَانٍ يُثْبِتُ صِدْقَ مَا يَدَّعِي،

(١) سورة الشعراء (١٥٣، ١٥٤).

(٢) سورة الشعراء (١٤١ إلى ١٤٥).

وَأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِدَلِيلٍ نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَمَاذَا يَطْلُبُ هَؤُلَاءِ الطَّغَاةُ الْجَبَّارُونَ الْمُشْرِكُونَ، مِنَ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ إِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ، أَنْ يُخْرِجَ مِنْ صَخْرَةٍ صَلْدَةٍ نَاقَةً لَهَا أَوْصَافٌ مُحَدَّدَةٌ، كَمَا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَهَا أَنْ تَكُونَ نَاقَةً وَلَوْدَاً عُسْرَاءَ طَوِيلَةً.

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- أَوْكُنْتُمْ مُصَدِّقِي إِنْ طَلَبْتُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ فَأَجَابَكُمْ إِلَى طَلَبِكُمْ هَذَا؟ أَوْتُؤْمِنُونَ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ وَتَدْعُونَ عِبَادَةَ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ؟.

فَقَالَ قَوْمٌ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نَعَمْ نُصَدِّقُكَ وَنَتَّبِعُ مَا جِئْتَنَا بِهِ.

معجزة صالح

فَقَامَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَسْأَلُهُ أَنْ يُجِيبَ قَوْمَهُ إِلَى طَلَبِهِمْ، عَلَيْهِمْ يَهْتَدُونَ وَيَزْجَعُونَ عَنْ ضَلَالِهِمْ وَفِسْقِهِمْ.

فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، تِلْكَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ، أَنْ تَنْفَطِرَ عَنْ نَاقَةٍ

ضَخْمَةٍ عُسْرَاءَ، وَمُطَابِقَةٍ لِلصِّفَاتِ الَّتِي طَلَبَهَا قَوْمُ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْلَمُ أَمْرَ ثُمُودَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ضَلَالٍ وَكُفْرٍ، وَيَعْلَمُ وَهُوَ أَعْلَمُ الْعَالَمِينَ الْمَالَ وَالنَّهْيَةَ، الَّتِي سَيَنْتَهِي إِلَيْهَا قَوْمُ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَقْتَضِي أَلَّا يُعَذَّبَ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُنْذَرَهُمْ وَيُنَبِّئَهُمْ رُسُولًا يَهْدِيهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ.

وَهَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَسْتَجِيبُ لِطَلَبِ ثُمُودَ فَأَمَّنَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَصَدَّتْ عُقُولُهُمْ، فَهَا هِيَ آيَةُ^(١) مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَظْهَرُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، الَّتِي بُهِّرَتْ لَمَّا رَأَتْ، وَهَا هِيَ النَّاقَةُ تَظْهَرُ أَمَامَ أَنْظَارِهِمْ، بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتَدُلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَحُدُّهَا حُدُودٌ، وَهَا هُوَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ وَالْبُرْهَانُ السَّاطِعُ، أَفْبَعْدَ هَذَا تَكْفُرُونَ أَيُّهَا الْجَا حِدُونَ الْمُشْرِكُونَ؟ :

﴿ وَيَقْوِمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾^(٢).

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾^(٣).

(١) آية: برهان.

(٢) سورة: هود (٦٤).

(٣) سورة: الشعراء (١٥٥).

فَكَانَتْ هَذِهِ النَّاقَةُ امْتِحَانًا، وَفِتْنَةً لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، بَلِ اخْتِبَارًا لِمَدَى صِدْقِهِمْ وَوَعْدِهِمُ الَّذِي قَطَعُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ بِالنَّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمَلَيْهِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْآثِرِ ﴿٢٦﴾﴾ (١) إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ (٢).

فَكَانَتِ النَّاقَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ تَرْعَى، حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَتَشْرَبُ مَاءَ الْبُئْرِ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَرْفَعُونَ حَاجَتَهُمْ مِنَ الْمَاءِ فِي يَوْمِهِمْ، لِغَدِهِمْ وَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ لَبِنِهَا كِفَايَتَهُمْ:

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٠﴾﴾ (٣).

فَكَانَ الْمَاءُ قِسْمَةً فِيمَا بَيْنَهُمْ، لَهُمْ يَوْمٌ، وَلَهَا يَوْمٌ. وَلَكِنَّ النَّاسَ ضَجُّوا مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ طَالَ الْأَمْرُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَاجْتَمَعَ زُعَمَاؤُهُمْ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَعْقِرُوا (٤) هَذِهِ النَّاقَةَ، لِيَتَخَلَّصُوا مِنْهَا وَيَسْتَرِيحُوا فَيَتَوَفَّرَ لَهُمُ الْمَاءُ، وَبِذَلِكَ وَسَّوسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْهُمْ إِلَّا

(١) أشر: البطر المتكبر.

(٢) سورة: القمر (٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧).

(٣) سورة الشعراء: ١٥٥.

(٤) يعقروا: يذبحوا.

يَمَسُّوَهَا بِسُوءٍ :

﴿ فَذَرُوهَا ^(١) تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ ^(٢) .

وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَهَا، مِنْهُمْ زَعِيمُهُمْ: قُدَارُ بْنُ سَالِفِ بْنِ جُنْدُعٍ، الَّذِي رَمَاهَا بِسَهْمٍ، فَأَصَابَ مَقْتَلَهَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ ^(١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَادْعُوا صَاحِبَكُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ ^(٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ .

فَكَانَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ، مَعَ رَجُلٍ آخَرَ مِنْ قَوْمِهِ، قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ، ثُمَّ تَشَاوَرُوا مَعَ الْقَوْمِ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ سَبْعَةٌ آخَرُونَ فَصَارُوا تِسْعَةً، وَهُمْ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

(١) فذروها: دعوها.

(٢) سورة: هود (٦٤).

(٣) الشعراء (١٥٧، ١٥٨).

﴿وَكَاكَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١).

وَلَمْ يَكْتَفِ هَؤُلَاءِ الْكَفْرَةَ بِقَتْلِ النَّاقَةِ بَلْ أَدْرَكُوا "سَقْبَهَا"^(٢) الَّذِي هَرَبَ عِنْدَمَا سَمِعَ رُغَاءَ^(٣) أُمِّهِ الْعَظِيمِ، تُحَذِّرُ بِهِ وَلَدَهَا، فَاعْتَلَى جَبَلًا، إِلَّا أَنَّهُمْ لَحِقُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ. وَهَكَذَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَاتِلَ النَّاقَةِ، بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا^(١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾^(٤).

وَمِمَّا يُرَوَّى أَنَّ النَّبِيَّ، ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ:

أَلَا أَحَدْتُكَ بِأَشْقَى النَّاسِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَحْيِمِرُ^(٥) ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ . . .

(١) سورة: النمل (٤٨).

(٢) سقبتها: أي ولد الناقة.

(٣) رغاء: صوت الناقة.

(٤) سورة: الشمس (١١، ١٢).

(٥) أحيمر: تصغير أحمر إذ كان ذا لون أحمر.

هلاک ثمود

وَتَمَادَى قَوْمُ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَخَالَفُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولَهُ فَقَتَلُوا النَّاقَةَ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَتْرُكُوهَا لَا بَلْ ذَهَبُوا فِي غَيْبِهِمْ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ، وَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَحْدِيدِ: فَلْيَحِلِّ الْعَذَابُ الَّذِي وَعَدْتَنَا بِهِ، إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُصَوِّرُ عِنَادَهُمْ هَذَا:

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَثْنَتَا يَمَاتَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١).

فَامْهَلَهُمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غَيْرَ يَوْمِهِمُ الَّذِي قَتَلُوا فِيهِ النَّاقَةَ، الَّتِي شَرَدَ عَنْهَا وَلَيْدُهَا، ثُمَّ رَغَا (٢) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾.

فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ أَيْضًا، وَاسْتَبَعَدُوا أَنْ يَحِلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ بَلْ سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، أَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ، صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُوَ وَأَهْلُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُنْكِرُوا مَا اقْتَرَفَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ إِثْمٍ، إِنْ طَالَبَهُ

(١) سورة: الأعراف (٧٧).

(٢) رغا: رفع صوته جزعاً على أمه.

أَهْلُهُ بِدَمِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١).

وَصَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، فَأَنْفَذَ بِهِمْ عَذَابَهُ، وَأَرْسَلَ عَلَى أُولَئِكَ الْعُصْبَةَ، الَّتِي أَرَادَتْ قَتْلَ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِجَارَةً فَأَهْلَكَهُمْ، قَبْلَ قَوْمِهِمْ تَعْجِيلًا لَهُمْ بِالْعَذَابِ، أَمَّا ثُمَّودُ فَقَدْ أَصْبَحَتْ وَوُجُوهُ الْقَوْمِ فِيهَا مُضْفَرَةٌ فَلَمَّا حَلَّ الْمَسَاءُ قَالُوا:

هَآ قَدْ مَضَى الْيَوْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَجَلِ الْمُنتَظَرِ.

ثُمَّ أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، وَوُجُوهُهُمْ مُخْمَرَةٌ، فَلَمَّا حَلَّ الْمَسَاءُ قَالُوا:

هَآ قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مِنَ الْأَجَلِ.

ثُمَّ أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الْأَخِيرُ مِنْ أَيَّامِ الْأَجَلِ، وَوُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ فَلَمَّا أَمْسَوْا قَالُوا: هَآ قَدْ مَضَى الْيَوْمُ الثَّالِثُ، فَلَمَّا كَانُوا فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَرَجْفَةٌ عَنِيفَةٌ مِنْ أَسْفَلِهِمْ، فَزَهَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَهَمَدَتْ حَرَكَاتُهُمْ وَخَشَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ، فَبَاتُوا فِي

(١) سورة: النمل / ٤٩- ٥٠ / .

دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ^(١)، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ
بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةً^(٢) يَمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾
وَأَنبَجْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٣).

وَنَالَ قَوْمُ النَّبِيِّ صَلَاحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِقَابَهُمُ الشَّدِيدَ الَّذِي
اسْتَعَجَلُوهُ وَجَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فَاسْتَحَقُّوا ذَلِكَ. يَقُولُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ
الْعَذَابِ اْلَهُونِ^(٤) يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ﴾^(٥).

وَهَكَذَا تَكُونُ نِهَآيَةُ كُلِّ جَبَّارٍ أَثِيمٍ، تِلْكَ النِّهَآيَةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا
بِمَا قَدَّمَ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَرَغَمَ كُلِّ الْآيَاتِ وَالْبَرَآهِينِ السَّاطِعَةِ
الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عَظْمَةِ خَالِقِ هَذَا الْكَوْنِ الْعَجِيبِ، وَرَغَمَ النَّصَاحِ

(١) جائمين: مقيمين دون حراك.

(٢) خاوية: فارغة.

(٣) سورة: النمل (٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣).

(٤) الهون: المهين.

(٥) سورة: فصلت (١٧، ١٨).

الَّتِي قَدَّمَهَا النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِقَوْمِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا
فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَائِلًا:

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوِمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ التَّصْحِيحَ﴾.

وَلِهَذَا كُلِّهِ صَارَ قَوْمُهُ إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ الْمَخْتُومِ، بِمَا يَكْتَنِفُهُ
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ، فَقَدْ نَجَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ لِيَنَالُوا نَعِيمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَأَنبِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنفُقُونَ﴾^(١).

(١) سورة: النمل (٥٣).